

كان المراد أن طعام أهل الكتاب حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه فهو تخصيص للعموم .
وإن كان المراد طعامهم حلال بشرط التسمية فهو أيضا من باب تخصيص . لكن آية الأنعام
هي آية العموم المخصوص في الوجه الأول ، وفي الثاني بالعكس .

وقال عطاء في قوله تعالى : « وَمَنْ يُؤْلَهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ » ^(١) أنه منسوخ بقوله :
« إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ » ^(٢) إلى آخر الآيتين ، وإنما هو
تخصيص وبيان لقوله « وَمَنْ يُؤْلَهِمْ » فكأنه على معنى « وَمَنْ يُؤْلَهِمْ » وكانوا مثلي
عدد المؤمنين . فلا تعارض ولا نسخ بالإطلاق الأخير ، والأمثلة كثيرة . انتهى .
وسياتى في تفسير قوله تعالى : « مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ » ^(٣) زيادة على ما هنا بعونه تعالى .

٦ — قاعدة في القراءة الشاذة والدرج :

قال أبو عبيد في فضائل القرآن : المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين
معانيها . كقراءة عائشة وحفصة « والصلاة الوسطى صلاة العصر » وقراءة ابن مسعود
« فاقطعوا أيما نها » وقراءة جابر « فإن الله من بعد إكراههن لمن غفور رحيم » .
قال : فهذه الحروف وما شا كلها قد صارت مفسرة للقرآن . وقد كان يروى مثل هذا
عن التابعين في التفسير فيستحسن . فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ، ثم صار في نفس

(١) [٨ / الأنفال / ١٦] ونصها : وَمَنْ يُؤْلَهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّمًا لِقِتَالٍ
أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

(٢) [٨ / الأنفال / ٦٥] ونصها : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ،
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ .

(٣) [٢ / البقرة / ١٠٦] ونصها : مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا
أَوْ مِثْلَهَا ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

القراءة ، فهو أكثر من التفسير وأقوى ؟ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل . انتهى .

وقال القراب في الشافى : التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فالتشر ، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد . انتهى .

ومن القراءات ما يشبه من أنواع الحديث المدرج . وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير . كقراءة سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أم» أخرجها سعيد بن منصور ، وقراءة ابن عباس « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » أخرجها البخارى . وقراءة ابن الزبير « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم » قال عمرو : فما أدري أكانت قراءته أم فسر - أخرجها سعيد بن منصور وأخرجها الأنبارى ، وجزم بأنه تفسير .

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ : « وإن منكم إلا واردها الورد الدخول » قال الأنبارى : قوله : « الورد الدخول » تفسير من الحسن لمعنى الورد ، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله فى القرآن .

قال ابن الجزرى فى آخر كلامه : وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءات إيضاحاً وبياناً . لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قرآناً . فهم آمنون من الالتباس . وربما كان بعضهم يكتبه معه . وأما من يقول : إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب وساء - كذا فى الإتيان .

(١) صحيح البخارى فى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٢ - سورة البقرة ، ٣٤ - باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً فى الجاهلية .. فتأثموا أن يتجروا فى المواسم . فنزلت : لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ . فى مواسم الحج .

٧ — قاعدة في قصص الأنبياء والاستشهاد بالإسرائيليات

قال الإمام أبو العباس أحمد بن زروق في قواعد التصوف : التأثير بالأخبار عن الوقائع أتم لسماعها من التأثير بغيرها . فمن ثم قيل : الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين . قيل : فهل تجد لذلك شاهداً من كتاب الله ؟ قال : « وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ » ووجه ذلك : أن شاهد الحقيقة بالفعل أظهر وأقوى في الانفعال من شاهدها للغة ، إذ مادة الفاعل مستمرة في الفعل لغابر الدهر .

وقال ولي الله الدهلوي ، قدس سره ، في أصول التفسير ، في فصل الكلام على معرفة أسباب النزول :

شرط المفسر أمران :

الأول : ما تعرض له الآيات من القصص ، فلا يتيسر فهم الإيماء بتلك الآيات إلا بمعرفة تلك القصص .

والثاني : ما يخصص العام من القصة ، أو مثل ذلك من وجوه صرف الكلام عن الظاهر ، فلا يتيسر فهم المقصود من الآيات بدونها .

ومما ينبغي أن يعلم أن قصص الأنبياء السالفين لا تذكر في الحديث إلا على سبيل القلة ، فالقصص الطويلة العريضة التي تكلف المفسرون روايتها ، كلها منقولة عن علماء أهل الكتاب إلا ما شاء الله تعالى . انتهى .

فاذن ، لا يخفى أن من وجوه التفسير معرفة القصص الجملة في غضون الآيات الكريمة ، ثم ما كان منها غير إسرائيلي . كالذي جرى في عهده عليه السلام ، أو أخبر عنه . فهذا تكفل ببيانته المحدثون . وقد رووه بالأسانيد المتصلة . فلا منمز فيه .

(١) [١١ / هود / ١٢٠] ونصها : وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْعُومِنِينَ .

وأما ما كان إسرائيلياً ، وهو الذى أخذ جانباً وافرأ من التنزيل العزيز ، فقد تلقى السلف شرح قصصه ، إما مما استفاض على الألسنة ودار من نبتهم ، وإما من المشافهة عن الإسرائيليين الذين آمنوا . وهؤلاء كانوا تلتفوا أنباءها عن قادتهم . إذ الصحف كانت عزيزة لم تتبادلها الأيدي ، كما هو فى العصور الأخيرة . واشتهر ضنُّ رؤسائهم بنشرها لدى عمومهم ، إبقاءً على زمام سيطرتهم . فيروون ماشأوا غير مؤاخذين ولا مناقشين . فذاع ما ذاع .

ومع ذلك فلا منغمز على مفسرينا الأقدمين فى ذلك ، طابق أسفارهم أم لا ، إذ لم يألوا جهداً فى نشر العلم وإيضاح ما بلغهم وسمعوه . إما تحسیناً للظن فى رواة تلك الأنباء وأنهم لا يروون إلا الصحيح ، وإما تعويلاً على مارواه الإمام أحمد والبخارى والترمذى عن عمرو ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية » ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج »^(١) ورواه أبو داود أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » فترخصوا فى روايتها كيفما كانت ، ذهاباً إلى أن القصد منها الاعتبار بالوقائع التى أحدثها الله تعالى لمن ساف لينهجوا منهج من أطاع فأثنى عليه وفاز . وينكبوا عن مهيج من عصى خفت عليه كلمة العذاب وهلك . هذا ملحظهم رضى الله عنهم .

وقد روى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يقول : إذا روينا فى الأحكام شددنا ، وإذا روينا فى الفضائل تساهلنا ، فبالأحرى القصص . وبالجمله فلا ينكر أن فيها الواهيات بكرة ، والموضوعات ، مما استبان لمحققى المتأخرين . وقد رأيت ، ممن يدعى الفضل ، الخط من كرامة الإمام الثعلبى ، قدس الله سره العزيز ، لروايته الإسرائيليات . وهذا ، وإيم الحق ، من جحد مزاياء ذوى الفضل ومعاداة العلم . على أنه ، قدس سره ، ناقل عن غيره ، وراو ما حكاه بالأسانيد إلى أئمة الأخبار . وما ذنب مسبوق بقولٍ نقله باللفظ وعزاه لصاحبه ؟ فمعاذاً بك ،

(١) صحيح البخارى فى : ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٥٠ - باب ما ذكر عن بنى إسرائيل . عن عبد الله بن عمرو ؛ أن النبى ﷺ قال « بلغوا عني ولو آية » . وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

اللهم! من هزيمة السلف . وقد رأيت له في تاريخ القاضي ابن خلّكان ترجمة عالية أحببت إبتائها هنا ، تعريفا بمقامه لدى الجاهل به .

قال القاضي في حرف الهمزة : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبيّ النيسابوريّ المفسر المشهور : كان أوحّد زمانه في علم التفسير ، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، وغير ذلك . ذكره السمعانيّ ، وقال : يقال له الثعلبيّ ، والثعالبيّ ، وهو لقب له ليس بنسب ، قاله بعض العلماء .

وذكره عبدالغافر بن إسماعيل الفارسيّ في كتاب سياق تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه وقال : حدث عن أبي طاهر بن خزيمة والإمام أبي بكر بن مهران القرّيّ ، وكان كثير الحديث ، كثير الشيوخ ، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

وقال غيره : توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

وقال غيره : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . رحمه الله تعالى . انتهى .

والقصد أن الصالحين كانوا يتقبلون الروايات على علاقتها للملاحظة المارة ، لصفاء سريرتهم . فلا ينبغي إلا تنفيذ الموضوع منها ، لا الخط من مقامهم وقرض أعراضهم . كيف وقد تلقى الصحابة ومَن بعدهم الإسرائيليات وحكوها ، بل بعضهم اقتنى أسفارها وأدمن مطالعتها ، لما استبان له من البشائر النبوية ، وتحقق تحريفهم .

روى الحافظ الذهبيّ في تذكرة الحفاظ ، في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ؛ أنه أصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب .

وقال السيوطيّ في الإنقان في طبقات المفسرين : وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة . وما أشبهها بأن يكون مما تحمله عن أهل الكتاب .

وقال أيضا ، في آخر الإنشقاق : حديث الفتون طويل جدا . يتضمن شرح قصة موسى وتفسير آيات كثيرة تتعلق به . وقد نبه الحفاظ منهم المزيّ وابن كثير على أنه موقوف من كلام ابن عباس . قال ابن كثير : وكان ابن عباس تلقاه من الإسرائيليات . انتهى .

وقد ثبت أن النبي ﷺ دخل كنيسة لليهود وسمع قراءة التوراة حتى أتوا على صفته .

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ، رضى الله تعالى عنه ، قال : إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، فدخل الكنيسة فإذا يهود ، وإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة . فلما أتوا على صفة النبي ﷺ أمسكوا ، وفي ناحيتها رجل مريض ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما لكم أمسكنم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا . ثم جاء المريض بحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتمه . فقال : هذه صفتك وصفة أمتك . أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : «لأوأخاكم» (١) .

وروى الإمام أحمد أيضا في مسنده عن أبي سخر العقيلي قال : حدثني رجل من الأعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما فرغت من بيعتي قلت لَأَقَيْنَ هذا الرجل فلائمن منه ، قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم في أفقائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرأها يعزى بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتیان وأجمله ، فقال رسول الله ﷺ : أنشدك بالذي أنزل التوراة ! هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟ فقال برأسه : هكذا ، أى لا . فقال ابنه : إى والله الذى أنزل التوراة ! إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ! فقال : أقيموا اليهودى عن أخيكم ، ثم ولى دفنه وحنطه وصلى عليه (٢) .

وروى الحفاظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة عبد الله بن سلام الحبر رضى الله عنه :

(١) مسند الإمام أحمد . جزء أول ص ٤١٦ (طبعة الحلبي) ورقم ٣٩٥١ (طبعة المعارف)

بتحقيق شيخنا أحمد محمد شاكر . وقال مسنده

(٢) مسند الإمام أحمد . جزء خامس ص ٤١١ (طبعة الحلبي) .

عن إبراهيم بن أبي يحيى ، قال : حدثنا معاذ بن عبد الرحمن عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه : جاء إلى النبي ﷺ فقال : إني قرأت القرآن والتوراة ، فقال : اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة . قال الذهبي : فهذا - إن صح - ففيه الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها . انتهى .
أى ليعلم المحرف فيها من سياق القرآن الكريم ، وليتبصر فيما تقوم به الحجة على كتملة أسفارها ، وليزداد معرفة بمجادلتهم من معتقدهم ، ولغير ذلك .

قال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره : غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير ، في تفسيره ، عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس . ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال : «بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ^(١) . رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو .

ولهذا كان عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما ، قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك ، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد ، لا للاعتقاد . فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا تؤمن به ولا تكذبه ، ويجوز حكايته لما تقدم . وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني . انتهى .
فحيث جازت حكايته ، على ما قاله ، فالأولى رواية ما كان من القسم الأول أو الثالث عن نص كتبهم ، كما هو مذهب عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما ، كما نقله ابن كثير هنا ، والذهبي والسيوطي كما تقدم .

وإنما كان الأولى ، في رواية الإسرائيليات ، ما ذكرنا دفماً لمناقشة بعضهم على الإسرائيليات المتداولة في التفاسير بأنها لم ترو في كتب الحديث المشهورة حتى تكون المرجع ،

ولم تؤخذ من أسفارهم حتى تتطابق معها ، فارتأى النقل عنها لذلك ، لا اعتقاداً بسلامتها من التحريف المحقق ، كلا . بل توسعاً في باب الأخبار للاستشهاد والاعتبار . قياماً بالحجة على الخصم من معتقده ، وناهيك بذلك .

قال ابن حزم في كتاب الملل والنحل ، بعد ما أوضح البراهين العديدة على تحريفهم وتبديلهم : إن الله تعالى كما أطلق أيديهم في تبديل ما شاء رفعه من دينك الكتابين ، كف أيديهم عما شاء إبقاءه من دينك الكتابين ، حجة عليهم .
وممن كان يرى جواز النقل عن كتبهم ، من قدماء الشافعية ، الإمام الماوردي . كما تراه في مواضع من كتابه « أعلام النبوة » .

وممن حقق هذا البحث الإمام برهان الدين البقاعي ، ثم الدمشقي ، في تفسيره « المناسبات » الذي قال عنه شيخ الإسلام القاضي زكريا : « ما ألف نظيره وجدير بأن يكتب بماء الذهب » كما حكاه عنه تلميذه الإمام الهيثمي في آخر فتاويه الحديثة . وهاك ما قاله البقاعي ، رحمه الله ، في تفسير قوله تعالى : « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ^(١) » ، مانصه : فإن أنكر منكر الاستشهاد بالتوراة أو الإنجيل ، وعى عن أن الأحسن في باب النظر أن يرد على الإنسان بما يمتقده ، تلوت عليه قول الله تعالى استشهداً على كذب اليهود « قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٢) » ، وقوله تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهِمِّناً ^(٣) » في آيات من أمثال ذلك كثيرة .

(١) [٢ / البقرة / ٣٤] ونصها : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ .

(٢) [٣ / آل عمران / ٩٣] ونصها : كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالاً لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ، قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

(٣) [٥ / المائدة / ٤٨] ونصها : وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمِّناً عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...

وذكرته باستشهاد النبي ﷺ بالتوراة في قصة الزاني^(١). وروى^(٢) الشيخان عن أبي سعيد رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : تكون الأرض يوم القيامة خبزة نزلًا لأهل الجنة . فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى . قال : تكون الأرض خبزة . كما قال النبي ﷺ ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه .

وقريب من ذلك حديث الجساسة^(٣) في أشباهه .

(١) صحيح البخارى في : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٣ - سورة آل عمران ، ٦ - باب قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ؛ أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا . فقال لهم : كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟ قالوا : نحممهما ونضربهما . فقال : لا تجدون في التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئاً . فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فوضع مدراسها الذى يدرّسها منهم كفّه على آية الرجم . فطفق يقرأ مادون يده وما وراءها . ولا يقرأ آية الرجم . فنزع يده عن آية الرجم ، فقال : ماهذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هى آية الرجم . فأمر بهما فرُجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد . فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقبها الحجارة .

(٢) صحيح البخارى في : ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٤ - باب يقبض الله الأرض :

عن أبي سعيد الخدرى : قال النبي ﷺ : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة . فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم . ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى . قال : تكون الأرض خبزة واحدة (كما قال النبي ﷺ) فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : ألا أخبرك بإدامهم ؟ قال : إدامهم بالام ونون . قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون ، يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفاً .

(٣) قصة الجساسة أوردها الإمام مسلم في صحيحه في : ٥٢ - كتاب الفتن وأشرط =

هذا فيما يصدقه كتابنا ، وأما ما لا يصدقه ولا يكذبه ، فقد روى البخارى عن عبد الله ابن عمرو ، رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ورواه مسلم والترمذى والنسائى عن أبى سعيد رضى الله عنه ، وهو معنى ما فى الصحيحين ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم . الآية^(١) . فإن دلالة هذا على سنيّة ذكر مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها . ولذا أخذ كثير من الصحابة رضى الله عنهم عن أهل الكتاب . فإن فهم أحد من الشافعية منع أمتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستنداً إلى قول الإمام أبى القاسم الرافعى فى شرحه : وكتب التوراة والإنجيل مما لا يحل الانتفاع به لأنهم بدلوا وغيروا . وكذا قال غيره من الأصحاب . قيل له : هذا مخصوص بما علم تبدليه . بدليل أن كل من قال ذلك علل بالتبديل . فدار الحكم معه .

ونص الشافعى ظاهر فى ذلك . قال المزنى عنه فى مختصره ، فى باب جامع السير : وما كان من كتبهم - أى الكفار - فيه طب وما لا مكروه فيه ، بيع . وما كان فيه شرك بطل وانتفع بأوعيته .

وقال فى الأم فى سير الواقدى فى باب ترجمة كتب الأعاجم ، قال الشافعى : وما وجد من كتبهم فهو مفهم كله ، وينبى للإمام أن يدعومن يترجمه ، فإن كان علماً من طب أو غيره لا مكروه فيه ، باعه كما يبيع ماسواه من المغانم . وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ، ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو . انتهى .

فقوله فى الأم : « كتاب شرك » مفهم لأنه كله شرك ، ولهذا عبر المزنى عن ذلك بقوله : وما كان فيه شرك ، أى من أبواب الكتاب وفصوله .

= الساعة ، ٢٤ - قصة الجساسة ، حديث ١١٩ ص ٢٢٦١ (طبعة دار الإحياء) وهو حديث طويل روته فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس ، عن رسول الله ﷺ .
(١) انظر الحاشية ص ٣٠ .

وأدل من ذلك قولهم في باب الأحداث : أن حكمها في مس المحدث حكم ما نسخت تلاوته من القرآن في أصح الوجهين : والتعبير « بالأصح » على ما اصطلاحوا عليه ، يدل على أن الوجه القائل بحرمة مس المحدث وحمله لها قوى .

وأدل من ذلك ما ذكره محرر المذهب ، الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في مسائل ألحقها في آخر باب الأحداث من شرح المهذب وأقره ، أن المتولى قال : فإن ظن أن فيها شيئاً غير مبدل ، كره مسه . انتهى .

فـكراهة المس للاحترام فرع جواز الإبقاء والانتفاع بالقراءة .

وأصرح من ذلك كله قول الشافعي رحمه الله : أن ما لا مكروه فيه يباع . وكذا قول البغوي في تهذيبه في آخر باب الوضوء : وكذلك لو تسكلم - أي الجنب - بكلمة توافق نظم القرآن أو قرأ آية نسخت قراءتها أو قرأ التوراة والإنجيل أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبي ﷺ ، فجائز .

قالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ^(١) .

فإنه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للمحدث ، بل كل ما جاز للجنب قراءته من غير أمر ملجئ ، جاز للمحدث ، ولا عكس .

وتعليقه لذلك بحديث عائشة رضي الله عنها دال على أن ذلك ذكر لله تعالى . ولا يجوز الحل على العموم ، لا سيما إذا لوحظ قول القاضي الحسين : أنه يجوز الاستنجاء بها . لأنه مبني على الوجه القائل بأن السكك مبدل . وهو ضئيف أو محمول على المبدل منهما . لأنه لا يخفى على أحد أن مسلماً ، فضلاً عن عالم ، لا يقول أنه يستنجي بنحو قوله في العشر الكلمات التي صدرت بها الألواح : قال الله جميع هذه الآيات كلها . أنا الرب إلهك الذي أصدتلك من أرض مصر من العبودية والرق لا يكون لك آلهة غيري . لا تعملن شيئاً من الأصنام والتماثيل التي مما في السماء فوق ، وفي الأرض من تحت ، ومما في الماء أسفل الأرض . لا تسجدن لها ولا

(١) صحيح البخاري في : ١٠ - كتاب الأذان ، ١٩ - باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا وههنا ؟ وقالت عائشة : كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه .

تعبدها . لأنى أنا الرب إلهك إله غيور . لا نقسم بالرب إلهك كذباً . لأن الرب لا يزكى من حلف باسمه كذباً . أكرم أباك وأمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيكها الرب إلهك . لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ، لا تشهد على صاحبك شهادة زور .

وقد أشبع الكلام فى المسألة شيخنا حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر فى آخر شرحه للبخارى . وآخر ما حط عليه ، التفرقة بين من رسخ قدمه فى العلوم الشرعية ، فيجوز له النظر فى ذلك ، فإنه يستخرج منه ما ينتفع به المحدثون . وبين غيره فلا يجوز له ذلك . وأيده بنظر الأئمة فيها قديماً وحديثاً ، والرد على أهل الكتابين بما يستخرجونه منها . فلو لا جواز ذلك ما أقدموا عليه . والله الموفق .

وقد حررت هذه المسألة فى فن المرفوع من حاشيتى على شرح ألفية الشيخ زين الدين المراقى . فراجعه إن شئت . والله الهادى .

ثم صنف فى ذلك تصنيفاً حسناً سمّيته ، الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة ، اه كلام البقاعى الدمشقى رحمه الله تعالى .

وأما مسألة تحريف الكتابين ، أعنى التوراة والإنجيل ، فقد نقل البخارى فى أواخر صحيحه فى باب قول الله تعالى « بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ » عن ابن عباس : يحرفون يزيلون ، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل ، ولكن يحرفونه يتأولونه عن غير تأويله اه .

قال أبو الفضل ابن حجر فى شرحه : قال شيخنا ابن الملقن فى شرحه : هذا الذى قاله أحد القولين فى تفسير هذه الآية ، وهو مختاره . أى البخارى .

ثم قال ابن حجر : اختلف فى هذه المسألة على أقوال :

أحدها : أنها بدلت كلها ، وهو مقتضى القول المحكى بجواز الامتهان ، وهو إفراط .

ويبنى حمل إطلاق من أطلقه على الأكثر ، وإلا فهى مكابرة . والآيات والأخبار كثيرة فى أنه بقى منها أشياء كثيرة لم تبدل . من ذلك قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ » (٤ - تفسير القاسمى - أول)